مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة السادسة عشر

علاء حامد

Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد، وهو اللقاء قبل الأخير من لقاءات هذه الدورة المباركة: دورة مدرسة قد سمع.

لقد تجولنا في سور هذا الجزء المبارك، وتعلمنا منه معاني عظيمة؛ فرأينا حكمة الشريعة، وتعرّفنا على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله، كما وقفنا على معاني الولاء والبراء، وتعرّفنا على سير الصحابة الكرام، ورأينا أيضًا مكانة المرأة في الإسلام. وقد جمع هذا الجزء الكثير من هذه المعاني التربوية والإيمانية.

تذكير بسورة الطلاق

في اللقاء السابق تحدثنا عن سورة الطلاق، وبيّنا أنها من أرقى سور القرآن، ومن أكثر السور تأثيرًا في ترقيق القلوب، على خلاف ما يتصوره البعض عنها.

لو أردنا أن نسميها اسمًا آخر لسميناها سورة التقوى؛ لكثرة ما ورد فيها من الدعوة إلى التقوى.

وبعد سورة الطلاق في جزء قد سمع تأتي سورة التحريم.

تعريف بسورة التحريم

سورة التحريم سورة مدنية بلا خلاف.

موضوعات سورة التحريم

تعرض سورة التحريم نموذجًا لنظام البيت المسلم، وتبين دور الرجل والمرأة في التربية داخل الأسرة. كما تؤكد مسؤولية المسلم عن نفسه وأهله، كما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

1) عتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخصوصية بيته: تبدأ السورة بعتاب رقيق للنبي لامتناعه عن العسل (أو عن جاريته مارية في بعض الروايات) إرضاءً لبعض زوجاته، وبيان أن الله أحل له ما يطيب له.

سبب نزول الآيات وذكر العلماء في ذلك قولين:

القول الأول أن بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أردن أن يُنَفِّرْنه من العسل الذي كان يشربه في بيت زينب بنت جحش

القول الثاني إنهن أردن أن يُنفِّرنه من إتيان مارية رضي الله عنها، وهي من ملك اليمين، فكنّ يَغَرْن من ذلك.

2) الأمر بالتوبة: أمر الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة من العودة إلى مثل هذا الفعل، وبيَّن أن الله قادر على أن يبدل النبي صلى الله عليه وسلم أزواجًا خيرًا منهن.

3) مسؤولية الأسرة في التربية: تأكيد مسؤولية المسلم عن تربية نفسه وأهله، وفي ذلك بيان لمسؤولية الرجل خاصة في رعاية أهل بيته وتربيتهم.

4) يضرب الله مثالًا بالملائكة في طاعتهم الكاملة، وذلك دعوة للالتزام بطاعة الله.

5) بيان عاقبة الكافرين ومصير من كفر وضل، والدعوة إلى التوبة وبيان فضلها.

6) تذكر السورة نماذج مختلفة من النساء:

نساء ضللن رغم قربهن من الأنبياء

مثل امرأة نوح وامرأة لوط؛ فقد كانتا زوجتين لنبيين، ومع ذلك لم ينفعهما هذا القرب بسبب كفرهما.

نموذج المرأة الصالحة: وهي امرأة فرعون، التي عاشت في بيئة فاسدة لكنها ثبتت على الإيمان، فصارت من خير نساء الدنيا، وبنى الله لها بيتًا في الجنة. وفي ذلك دليل على أن الإنسان يُقوَّم بعمله وإيمانه لا بنسبه.

وختمت السورة بذكر مريم عليها السلام كنموذج أعلى في الإيمان والطاعة، وفي ذلك دعوة إلى استقامة المرأة، وبيان أن عزّها الحقيقي يكون في عبادة الله سبحانه وتعالى.

(الآية 1)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

دلالة النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾

بيان شرف النبي صلى الله عليه وسلم وقدره عند الله، فيناديه بصفة النبوة حتى عند العتاب.

قد ينادي الناس غيرهم بالألقاب عند الإكرام ويتركونها عند العتاب، أما الله سبحانه فينادي النبي صلى الله عليه وسلم بصفة النبوة والرسالة حتى في العتاب.

﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم على نفسه شيئًا بسبب غيرة الزوجات.

ورد في ذلك روايتان :

الرواية الأولى: حديث العسل: روى البخاري في كتاب الأيمان والنذور عن عبيد بن عمير

قال:
سمعت عائشة رضي الله عنها تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا. فتواطأت أنا وحفصة على أن أيَّتَنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: "لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له."
وفي رواية:
"بل شربت عسلًا ولن أعود له، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدًا."
وكان الكلام مع عائشة رضي الله عنها.
فنزلت الآية.
كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يمرّ على نسائه بعد صلاة العصر ليطمئن عليهن، حتى لو كانت الليلة لواحدة منهن مثل عائشة أو حفصة. وكان هذا جائزًا؛ لأن العدل الواجب بين الزوجات يكون في المبيت، أما الزيارة في النهار فكانت جائزة دون حرج.
لما رأت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم يطيل المكث عند زوجته السيدة زينب بنت جحش، غارت لشدة حبها له، فلما علمت أنها كانت تُطعمه عسلاً.
اتفقت مع السيدة حفصة على أن تدبرا أمراً ليمتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن شرب هذا العسل، فكانت الخطة أن تقول كل منهما للنبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله عليها:
"إني أجد منك ريح مغافير".
(والمغافير: مادة صمغية حلوة الطعم، كريهة الرائحة).
فلما دخل على إحداهما (وهي عائشة على الأرجح) قالت له ذلك، فقال: "بل شربت عسلاً عند زينب"، فلما دخل على حفصة قالت له مثل ذلك، فقال لها نفس الجواب، تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بكلامهما، وحلف ألا يشرب العسل عند زينب، وقال لعائشة: "لا تخبري أحداً بذلك".
وهنا نزلت الآية عتاباً للنبي صلى الله عليه وسلم، وتبين أنه لا ينبغي تحريم ما أحله الله، حتى لو كان ذلك لإرضاء الزوجات، ثم شرع بعدها كفارة اليمين التي حلفها.
الغيرة بين الزوجات طبيعية، لكنها تُحل بالورع والوعي والتصرف الرشيد.
راعى النبي صلى الله عليه وسلم مشاعر زينب، وتصرف بلطف حتى لايتأثر شعورها.
الرواية الثانية:
كانت مارية من ملك اليمين للنبي صلى الله عليه وسلم، فحين رأته زوجاته أنه يأتيها، وخاصة حفصة رضي الله عنها غارت، فحرّم النبي عليه الصلاة والسلام إتيان مارية وحلف على ذلك إرضاء لهن.

الجمع بين الروايتين

ذكر العلماء احتمالين في الجمع بين الروايتين:

الطريقة الأولى: اعتماد الرواية الأصح، وهي رواية عائشة مع قصة زينب والعسل، عند عامة العلماء، وقد ذكرها ابن كثير ولم يذكر الرواية غيرها.

الطريقة الثانية: احتمال أن الحدثين (العسل وملك اليمين) وقعا معًا، فارتبط سبب نزول الآية بالحدثين معًا.

والأرجح والله أعلم أن سبب النزول هو قصة العسل مع زينب.

الاهتمام بالطيب والنظافة للرجل والمرأة مستحب ومطلوب لإظهار المحبة والاحترام داخل البيت.

السيدة خديجة رضي الله عنها كانت الأفضل مطلقاً بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

كانت عائشة تحرص على قرب النبي منها فتراقب بقاءه مع زوجاته بدافع الحب والغيرة، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يتعامل بحكمة وذوق رفيع، مراعيًا مشاعر الجميع.

مكانتهما في قلب النبي صلى الله عليه وسلم

السيدة عائشة كانت الأحب إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تليها زينب، بدليل قولها عنها :

"هي التي تساميني من زوجاته".

أي تقاربني في المنزلة عنده.

فضل زينب بنت جحش

سأل النبي زينب في حادثة الإفك:

يا زينب ما تعلمين عن عائشة؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرًا.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها اللَّه بالورع.

حكمة النبي صلى الله عليه وسلم وتغاضيه عن هفوات زوجاته بدافع الحب، وصبره على غيرتهن، مما يعكس أخلاقه العالية ورقته في معاملة أهله.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، رغم مكانته يسعى في إرضاء زوجاته مما يدل على كمال خلقه.

مواساة الله لنبيّه وتطييب خاطره

كان الله سبحانه يواسي نبيه صلى الله عليه وسلم ويجبر خاطره ويؤنسه ويدافع عنه، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم تعظيمًا لمقامه وتطييبًا لقلبه.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

"يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك."

وقد وردت في ذلك آيات كثيرة منها:

قال الله تعالى له:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

قال تعالى:

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

إذا كان الله عز وجل يرضي نبيه، فكيف بنا نحن؟

مع عظمة مقام النبي صلى الله عليه عند الله، إلا أنه كان شديد التواضع، يصبر على غيرة زوجاته ويسعى لإرضائهن بلطف، فهنيئًا لمن اقتدى به وجعل حسن معاملة أهله وإرضاءهم من أولوياته.

السيادة الحقيقية لا تعني التسلط بل تعني حسن الخلق والرفق بالزوجة، وإكرامها ومعاملتها بلطف والسعي لإرضائها، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما ورد عن عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مرضت إحدى زوجاته لم يطلب منها شيئًا، بل كان يرقيها بالمعوذات، ويقوم بخدمة أهله.

وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل الكثير من المواقف، حتى إذا خاصمنه أو اختلفن معه سامحهن وتجاوز عنهن.

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها، فقال لها: "هل عندنا من طعام؟"

فقالت: "لا"، فقال : إنِّي صائم.

قد يتحمل الزوج من زوجته ما لا يتحمله من غيرها، لأن العلاقة بينهما تقوم على المودة والصبر والتغافل.

من كمال خُلقه صلى الله عليه وسلم أنه كان مثالًا عظيمًا في سعة الصدر، وحسن المعاملة، والحلم والرفق. ومن ذلك:

رغم ما وقع من غيرة عائشة رضي الله عنها، بقيت لها مكانة عظيمة عنده، وقد قال:

"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"،

وكان إذا سُئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. وهذا يدل على عظيم حلمه صلى الله عليه وسلم وتجاوزه عن الزلات اليسيرة، ولين جانبه، وحسن معاشرته لأهله

وأيضًا عفوه عن حاطب بن أبي بلتعة حين همَّ بإفشاء سر النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في سبب نزول سورة الممتحنة، فعفا عنه لأنه شهد بدرًا. ففي الحديث القدسي قال الله تعالى: "اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم".
رغم ما وقع من أمهات المؤمنين إلا أنه لا ينقص من فضلهن شيئاً.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
بيان لسعة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن ذنوب عباده.
قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على تهدئة المشاعر الثائرة، واحتواء الأزمات الطارئة وعلاجها، وتفادي الأضرار المحتملة.

(الآية 2)
﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حلف يمينًا، فسمح الله تعالى له بالتحلل منه بإخراج الكفارة، والعودة لما يحب.

عِظَم مكانة النبي صلى الله عليه وسلم و وجوب تعظيمه
إن مقامه صلى الله عليه وسلم عند الله عظيم، ولذلك شرع الله للمؤمنين آدابًا خاصة في التعامل معه تعظيمًا له وحفظًا لحقه، ومن ذلك ما ورد في الآيات الكريمة:
قال تعالى:
﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤]
عتاب إلهي لهما، وإعلان الله نصرته لرسوله، حيث ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ تعني مالت قلوبكما عن الصواب، وبيّن أن الله وملائكته والمؤمنين ناصرون لنبيه.
وقوله تعالى:
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]
حُرمة رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم، كما حدث عندما تجادل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ورفعا أصواتهما بحضرته.
وقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

لما أطال بعض الصحابة الجلوس في بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد الطعام فتأذى من ذلك.

قدر النبي صلى الله عليه وسلم عند الله لا يعلمه إلا الله.

(الآية 3)

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر إلى بعض زوجاته حديثًا، وأوصاها بعدم إفشائه.

التعامل مع المشكلات الزوجية بهدوء وخصوصية

من أهم أساليب حل المشاكل بين الزوجين أن يكون الحوار هادئًا وعلى انفراد بعيدًا عن الناس.

أن يكون العتاب بين الزوجين فقط دون إشراك الآخرين والتحدث أمام الأطفال أو الخوض في التفاصيل.

أن يتم الحوار بأسلوب لطيف كما كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع زوجاته.

التدقيق المفرط في الأخطاء يثير المشاكل، بينما الرفق والاحترام والتغاضي عن الصغائر يعمر البيت ويثبت العلاقة.

العتاب أمام الناس أو الأهل خطأ شائع؛ لأنه قد يحوّل النقاش إلى مشكلة أكبر.

كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا في الرقيّ واللطف حتى في العتاب؛ فحين أسرَّ إلى بعض أزواجه حديثًا ثم أُخبرن به، أطلعه الله على ذلك، كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾

فعاتب بلطف؛ بيّن بعضه وأعرض عن بعض، لم يغضب أو ينفعل، بل أخبر عائشة وزوجاته رضي الله عنهن بالتفاصيل بشكل إجمالي، دون الغوص في كل التفاصيل الدقيقة.

﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

أوحى الله سبحانه وتعالى له بكل التفاصيل

ملخص المحاضرة السادسة عشر

يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الإصلاح والحوار الهادئ أقوى من الغضب والانفعال.

الاعتدال في العتاب والمروءة

من آداب التعامل بين الزوجين وأي خلافات عامة عند العتاب، عدم ذكر كل التفاصيل، بل يكتفي بعرض الموضوع إجمالًا للتصحيح دون إعادة إشعال المشاعر السلبية، فالهدف هو حل المشكلة لا تعقيدها.

وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عند عتابه لعائشة رضي الله عنها في حادثة الغيرة، فاكتفى بعرض الموضوع إجمالًا دون ذكر كل التفاصيل، مروءة منه.

وكذلك عندما أذى إخوة يوسف يوسف عليه السلام بكلماتهم وأفعالهم، أسرّها في قلبه ولم يردّ عليهم، ولما أتيح له العتاب سامحهم قائلاً:

﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

قال معاوية رضي الله عنه: "ثلث العقل في الفطنة، وثلثا العقل في التغافل."

وقال الإمام أحمد: "تسعة أعشار العافية في التغافل."

إن التغاضي والتغافل أساس الحياة الناجحة فالحياة مليئة بزلات صغيرة يومية؛ التسامح عنها يحفظ العلاقات ويجعل البيت مكانًا سعيدًا وآمنًا، لذلك فلنتذكر المواقف الإيجابية، ونحسن الظن.

قاعدة في الحياة:

قال أبو تمام: "ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي"

أي أن المتغاضِي محبوب ومقدَّر.

من تجاوز عن الناس تجاوز الله عنه، وستره.

ليس كل التغافل محمود؛ فالتغافل ليس التجاهل، بل التركيز على الأمور الجوهرية وتجاوز الزلات البسيطة والصغائر، الحزم مطلوب عند الأمور المؤذية ولابد من الموازنة بين التسامح والحزم لمنع الكبت والانفجار النفسي.

يجب أن يكون الإنسان واعيًا ويميز بين التغافل والكبت:

التغافل: غض الطرف بنية حسنة، مع المروءة والشهامة للحفاظ على المودة والود والحفاظ على الكرامة.

الكبت: كتم المشاعر وتجاهلها دون حلها، مما يؤدي إلى تراكم الانفعالات وانفجارها لاحقًا.

إذا كان الموضوع مؤذيًا أو يمس الكرامة، فلا بد من أخذ رد فعل مناسب، وكلما تم التعامل مع الأمور في بدايتها، كانت أسهل

(الآية 4)

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾

﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾

أي زاغت ومالت.

قال العلماء: مالَت لأنهن أحببن شيئًا يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم، أي فارقن النبي فيما يميل إليه.

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الميول والسلوك واجب، والانحراف عن ذلك يُسمى زاغًا وميلًا.

إلا أن ما حدث كان ميلًا مؤقت بسبب الغيرة والحب بين الزوجين في أمور بسيطة يُسامح فيها.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾

إذا ظهر خلاف أو مظلمة ضد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله يدافع عنه، وتنزل الملائكة وجبريل وصالح المؤمنين لنصرته، ليعظم مكانته ويظهر محبتنا واتباعنا لسُنته.

صلاحك بقدر نصرتك للنبي صلى الله عليه وسلم ودفاعك عنه.

﴿ظَهِيرٌ﴾

عونٌ له وذخيره.

(الآية 5)

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾

عسى: من الله واجبة، من باب بيان العزّة والقدرة، وهو يفعل ذلك، هذا يُظهر عزّة الله الملك القادر.

عسى: لو قالها الناس تفيد الترجي، أي رجاء الله تعالى وقدرته على تبديل الأحوال.

فإذا حدث بالفعل وتفاقم الموضوع، فإن الله يأمره بأن يطلقكن.

ويبدله الله زوجاتٍ خيرًا منكن، وقد تابت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

قصة أخرى:

عندما وسّع الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قليلًا في الرزق، بدأت بعض زوجاته يكثرن من طلب أمور الدنيا وزينتها. وكان ذلك يشقّ على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يفضّل العيش على الكفاف ويكثر من الصدقة. فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]

اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته مدة شهرًا، بسبب ما وجد في نفسه، وكان هذا الاعتزال أسلوبًا هادئًا لمعالجة الخلاف دون أذى أو إساءة، حتى تهدأ النفوس ولا تتفاقم المشكلة.

بعد ذلك تابت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم جميعًا، فلم تتكرر هذه المواقف، ولم يُطلّق أيًّا منهن.

صفات المرأة الصالحة:

﴿مُسۡلِمَٰتِ﴾: أي منقادة لله، خاضعة لطاعته، لا تجادل في الحجاب أو مسائل الشرع من ميراث أو غيره، فالجدال في مثل هذه الأمور يتعارض مع الإسلام الحقيقي.

﴿مُّؤۡمِنَٰتِ﴾: عقيدة سليمة، إيمان قوي بالله واليوم الآخر، يعرفن عقيدة أهل السنة والجماعة ويعيشنها.

﴿قَٰنِتَٰتِ﴾ المواظبات على العبادة، لا تقتصر على الصلوات والصوم، بل تمتد إلى ذكر الله وأعمال الخير، دائمات في طاعة الله.

كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]

﴿تَٰٓئِبَٰتِ﴾: السريعة في التوبة إذا أخطأت، فالمسلم لا يُتوقع منه الكمال، ولكن السرعة في التوبة تعيدها إلى مكانتها الصالحة.

قد ترفع التوبة الصادقة مكانة الإنسان بعد الخطأ، كما حدث مع الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه بعد تخلفه عن غزوة تبوك ثم توبته الصادقة.

﴿عَٰبِدَٰتِ﴾: أي كثيرات العبادة.

أهمية العبادة للمرأة:

العبادة تُرقق القلب وتعين المرأة على أداء دورها في الاحتواء والرعاية داخل الأسرة والمجتمع، فتجعلها أكثر صبرًا ورحمةً وحسن خلق، فالعبادة تُهذب القلب وتوازن العلم، وتزيد اللطف والتواضع والرحمة.

﴿سَٰٓئِحَٰتِ﴾: صائمات باتفاق السلف، الصوم من العبادات الميسّرة للمرأة خاصة إذا كانت في بيتها.

﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾: من باب التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الثيّب: هي التي سبق لها الزواج. البكر: هي التي لم يسبق لها الزواج.

كل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كن ثيبات إلا عائشة رضي الله عنها كانت بكرًا، فالعبرة في الزواج الدين والصلاح.

موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقرآن

وهو الذي قال فيه رسول الله:

"لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"

فكان رضي الله عنه من أكثر الصحابة فهمًا للقرآن، وقد وافق رأيه الوحي في عدة مواقف، منها:

يوم أشار على النبي صلى الله عليه وسلم لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

[البقرة: ١٢٥]

قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: "هلا أمرت نساءك بالحجاب فإنهن يدخلن عليهن البر والفاجر"، فنزلت آية الحجاب في سورة الأحزاب.

قوله للنبي عليه الصلاة والسلام: "يارسول الله وددت لو أنزل الله أمرًا شافيًا في الخمر"، فنزل تحريمها.

وقوله في شأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وهذا يدل على عمق فقهه وقوة بصيرته في فهم الدين.

سؤال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما صغيرًا عندما أراد أن يسأل عمر عن الآية المتعلقة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد تردد، وجد فرصة أثناء السفر للحج فسأله: من المرأتان اللتان قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ فأجابه عمر رضي الله عنه بأنهما: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر.

ومن مواقف عمر رضي الله عنه:

أنه لما غضب النبي صلى الله عليه وسلم من بعض زوجاته واعتزلهن في مكان يُسمّى "المُشربة" وأشيع طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لهن، ذهب عمر رضي الله عنه ليطمئن عليه ويؤنسه فقال:

"يا رسول الله، كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبه نساؤهم، فتعلمت نساؤنا من نسائهم. وكان منزلي في دار أمية ابن زيد بالعوالي، فغضبت يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ إن رسول الله صلى

الله عليه وسلم تراجعه أزواجه وتهجره إحداهن إلى الليل، قال: فانطلقت ودخلت على حفصة **فقلت**: أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ **قالت**: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر. أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فإذا هي قد هلكت. لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسأليه شيئًا، وسليني من مالي ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك أجمل وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك." فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم، **ثم سأله**: "أطلقت نسائك؟" **فأجابه**: "لا".

وفي بعض الروايات الطويلة، قال عمر رضي الله عنه:

"يا رسول الله، ما يشق عليك من أمر النساء؟ فإن كنت طلقتهن، فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك". ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "أطلقت نسائك؟" فأجاب: "لا".

فقام إلى باب المسجد ونادى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه.

إظهار فقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحرص الصحابة على فهم القرآن ومعرفة أسباب نزوله، وبيان مكانة الصحابة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحماية المجتمع من الشائعات.

(الآية 6)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله.

أي لا يمنع التسامح أو اللطف الإنسان من تربية أهله بالحق.

إن إهمال تربية الأبناء والزوجة يؤدي إلى عاقبة النار. فمسؤولية الأب والزوج هي التوجيه والرعاية، وليس مجرد تلبية الرغبات، وتركهم دون تعليم أو توجيه قد يوقعهم في الشهوات ويعرضهم للضرر.

من صور عقوق الآباء لأبنائهم إهمال تعليمهم أمور دينهم، وتركهم يعتادون المعصية دون توجيه أو تقويم، بل قد يصل الأمر إلى معاونتهم على اتباع الشهوات وتيسير أسبابها لهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

لن ينصلح الظل والأصل أعوج، فلا تظلم نفسك وغيرك.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾

الناس: البشر الذين يُرَمون فيها.

الحجارة:

قيل: إنها الأصنام.

وقيل: حجارة الكبريت التي تزيد النار اشتعالًا، كما ورد عن بعض الصحابة.

﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

أي ملائكة غلاظ وشداد على الكفار بأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم، مثالًا للصالحين في الطاعة التامة.

يجب على الإنسان أن يقتدي الملائكة في الطاعة ويسترشد بسلوكهم في الطاعة ويجتنب المعصية.

استحضار الملائكة: كما يستحيي الإنسان من فعل المعصية أمام الناس الصالحين، فعليه أن يستحيي أكثر من الملائكة الذين لا يفارقونه ويكتبون أقواله وأعماله بأمر الله. وهذا الاستحياء يدفعه إلى ترك الذنوب والحرص على الطاعة.

(الآية 7)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

أي أن الاعتذارات لن تُقبل يوم القيامة، وكل إنسان مسؤول عن أعماله.

بهذا نكون قد انتهينا من الصفحة الأولى بما تيسر، نسأل الله التوفيق والسداد، ونسأله أن يتقبل منكم صالح الأعمال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته